انحسار الفرات عن جبل من ذهب
بين يدي الساعة

روى مسلم: «حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ. يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ. فَيُقْتَلُ، مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»**.

وقال: «حدّثنا أَبُو مَسْعُودٍ، سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ. حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ السَّكُونِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً»**.

وأيضاً: «حدّثنا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ. حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً»**.

وقال: «حدّثنا أَبُو كَامِلٍ، فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ (وَاللَّفْظُ لأَبِي مَعْنٍ). قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ. أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ: قَالَ:

كُنتُ وَاقِفاً مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ. فَقَال: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا. قُلْتُ: أَجَلْ. قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِر عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ. فَيَقُولُ مَنْ عَنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّه. قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ. فَيُقْتَلُ، مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**». قَالَ أَبُو كَامِلٍ في حَدِيثِهِ: قَالَ وَقَفْتُ أَنَا وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فِي ظِلِّ أُجُمِ حَسَّانَ».

وقال: «حدّثنا عُبَيْدُ بْنُ يَعِيشَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ (وَاللَّفْظُ لِعُبَيْدٍ). قَالَا: حدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ بْنِ سُلَيْمَانَ مَوْلَىٰ خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ. حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا.. وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا. وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا. وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ. وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ. وَعُدْتُمْ مِن حَيْثُ بَدَأْتُمْ**» شَهِدَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ»[1].

اكتشاف جبل الذهب:

وهذه الأحاديث نفيسة في هذا الباب، فأما أن الفرات يحسر عن كنز من ذهب أو جبل من ذهب فقد دلت أرصاد أميركا الحالية على وجود جبل الذهب هذا[2]، حتى إن ثمة اتفاقاً بين تركيا وأميركا على ما يظهر في شأن تجفيف الفرات[3]، وقد قدمت خطة إلى العراق في هذا الاتجاه لصدام حسين الرئيس السابق؛ و«ترى تركيا أن نهري دجلة والفرات ليسا نهرين دوليين بحيث تنطبق عليهما قواعد القانون الدولي، وتطلق عليهما وصف المياه العابرة

(1) صحيح مسلم 8/ 174، 175.

(2) انظر: كتاب كنز الفرات، محمد عيسى داود، مدبولي الصغير، مصر.

(3) السابق ص174، 196.

للحدود.. إن القانون الدولي بمختلف مصادره عَرَّف النهر الدولي بأنه النهر الذي تقع أجزاء منه في دول مختلفة، وذلك فإن نهري دجلة والفرات هما نهران دوليان ينبغي أن يتم تقاسم مياههما بين الدول الثلاث طبقاً لقواعد القانون الدولي. إن تركيا تدعي أن مفهوم قسمة مياه الأنهار الدولية لا يلقى قبولاً دولياً، وأنه يتوجب تطبيق مفهوم الاستخدام الأمثل للمياه. ويرى العراق أن قسمة المياه هي الهدف الذي أنشئت لأجله اللجنة الفنية للمياه المشتركة عام 1980م.

إذ نص المَحْضَر الذي تشكلت بموجبه اللجنة على «تحديد الكمية المناسبة والمعقولة من المياه التي يحتاجها كل بلد من البلدان الثلاثة». وإن الأساس القانوني الذي يقوم عليه مفهوم القسمة ينبع من قواعد القانون الدولي وبخاصة قاعدة الانتفاع المنصف والمعقول التي تقرر حق دولة المجرى المائي ضمن إقليمها بحصة أو قسمة معقولة ومُنْصِفة من استخدامات ومنافع المجرى المائي الدولي»[1].

وأما بالنسبة إلى سوريا فهناك اتفاقات منذ سنة 1930م، ثم في عام 1987م، ثم في عام 1990م، وما زال التقارب حتى هذه اللحظة يعد له في هذا الصدد.

وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام الفتنة في انحسار هذا النهر عن جبل الذهب، إذ إن الفتنة تطال الناس بأيديهم، فيقتتل الناس ويسقط ما يسقط مما ذكره ﷺ. وهنا يتضح وجه القتال على الحياة الدنيا. ونحن نرى واقعاً عجيباً اليوم في تخطيط أميركا للعراق؛ فهي تريد أن يكون بيدها كل مقاليد الحكم وأن تسيطر على الثروة المكتشفة بأي ثمن. وقبل الخوض في تفاصيل ما يراه الغرب وأميركا واليهود نعرج على شرح الأحاديث باختصار.

---

(1) السابق ص196.

شرح لألفاظ في الأحاديث:

فأما كلمة «أُجُم» فهي: الحصن مثل أُطُم وآطام وزناً ومعنى. وأما قوله ﷺ: «**لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا**» فالمراد بالأعناق هنا الرؤساء والكبراء، وقد قيل: الجماعات. وقد يمكن أن يراد بالأعناق نفسها وعبر بها عن أصحابها لا سيما وهي التي بها التطلع والتشوف للأشياء[1]. قال النووي في شرح حديث «منعت العراق» بما نصه:

«قوله ﷺ: «**منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر أردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم**» أما القفيز فمكيال معروف لأهل العراق قال الأزهري وآخرون: يسع أربعة وعشرين صاعاً وفي معنى منعت العراق وغيرها قولان مشهوران أحدهما: لإسلامهم فتسقط عنهم الجزية وهذا قد وجد. والثاني: وهو الأشهر أن معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين وقد روى مسلم هذا بعد هذا بورقات عن جابر. قال: يوشك أن لا يجيء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذلك قال: من قبل العجم يمنعون ذاك وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وجد في بكذا في العراق وهو الآن موجود. وقيل: لأنهم يرتدون في آخر الزمان فيمنعون ما لزمهم من الزكاة وغيرها. وقيل: معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية، والخراج وغير ذلك. وأما قوله ﷺ: «**وعدتم من حيث بدأتم**» فهو بمعنى الحديث الآخر: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ**» وقد سبق شرحه في كتاب الإيمان»[2].

والغربة ها هنا بالنسبة إلى المسلمين الذين يعملون على تطبيق الإسلام في

---

(1) شرح صحيح مسلم للنووي 18/ 19، 20.

(2) السابق 18/ 20، 21. والصاع يساوي (2,176 كغ) حنطة.

الأرض، إذ سيكونون في المجتمع الضال شاذين تماماً كما هي الحال أول الدعوة النبوية، وقد بين الرسول ﷺ في بعض روايات الحديث الذي أشار إليه النووي أن الغرباء هم الذين يعملون بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. وهذا الوضع المشار إليه في الحديث هو الوضع الراهن الذي نحن فيه.

العراق اليوم:

ولا بد لنا أن نشير هاهنا إلى أن مسألة الطمع الأميركي في العراق لم يكن حكراً على النفط بل انحصر في كل ثروات العراق، فضلاً عن أن البعث الذي تبشر به التوراة هو من العراق فاليهود يخافون من العراق ويرون محوها من الوجود تبعاً لما سيحدث لهم على أيدي المسلمين فيه كما في التوراة؛ فقد ورد في سفر إشعياء / 14: 20 ـ 23/ ما نصه: «فذرية فاعلي الإثم يبيد ذكرها إلى الأبد. أعدوا مذبحة لأبنائه جزاء إثم آبائهم لئلا يقوموا ويرثوا الأرضَ فيملؤوا وجهَ البسيطة مُدناً. يقول الرب القدير: إني أَهُبُّ ضدهم، وأمحو من بابل، اسماً وبقية ونسلاً وذرية، وأجعلها ميراثاً للقنافذ، ومستنقعاتٍ للمياه، وأكنسها بمِكْنَسَة الدمار. وهذا ما يعلنه الرب: ها أنا أثير على بابل، وعلى المقيمين في ديار الكلدانيين ريحاً مهلكة، وأبعث إلى بابل مُذْرين يَذْرُونها، ويجعلون أرضها قفراً، ويهاجمونها من كل جانب في يوم بليتها. لِيُوتِرَ الرامي قوسَهُ وليتدجَّجَ بسلاحه. لا تعفوا عن شبانها، بل أبيدوا كل جيشها إبادة كاملة، يتساقط القتلى في أرض الكلدانيين، والجَرْحَى في شوارعها» وهذا ما تريده القيادة الأميركية واليهودية أن يُصْنَعَ في أرض العراق.

وورد أيضاً في سفر إشعياء / 13: 16/ ما نصه: «كل من يُؤسَرُ يُطْعَنُ، وكل مَنْ يقبض عليه يُصْرَعُ بالسيف، ويمزق أطفالهم على مرأى منهم، وتُنْهَبُ بيوتُهم وتُغْتَصَبُ نساؤهم». نعم لقد كان المسؤولون الأميركيون مسرورين غاية السرور للقصف الوحشي والتقتيل والتدمير في الحربين الأخيرتين، وما هذا إلا لهذا الاعتقاد التوراتي بخطر العراق.

إن النصارى لا يكفون عن العداء للإسلام والمسلمين، والمذهب البروتستانتي الذي تمثله أميركا وبريطانيا وهولندا هو أشد المذاهب عداوة للمسلمين وللعرب بشكل خاص، وهم معروفون بتأييدهم لليهود، ويليهم الكاثوليك الذين هم في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا وسائر الدول الغربية، وأقل المذاهب عداوة هم الأرثوذكس الذين في روسيا ودول أوروبا الشرقية.

سيناريو وإعدادت:

وأما ما يكون من هذا السيناريو الذي سيحصل على يد العراق فيما بعد ضد بني إسرائيل فقد صوره أحد الكتاب على صفحات الأنترنت، وننقل هنا ما ذكره بنصه رغبة في إفادة القارئ وتبصيره بسبب الخوف اليهودي من العراق؛ يقول الكاتب:

صفة جيش البعث في التوراة:

ـ سفر يوئيل: 1: 1: هذا ما أوحى به الرب إلى يوئيل بن فثوئيل: اسمعوا هذا أيها الشيوخ، وأصغوا يا جميع أهل الأرض، . . .

1: 15: يا له من يوم رهيب، لأن يوم الرب قريب، حاملاً معه الدمار من عند القدير. . . أصحوا أيها السكارى، وابكوا يا جميع مدمني الخمر. . . فإن أمة قوية قد زحفت على أرضي، أمة قوية لا تُحصى لكثرتها، لها أسنان ليث وأنياب لبؤة، . . .

2: 2: هو يوم ظلمة وتجهم، يوم غيوم مُكفهرّة وقتام دامس، فيه تزحف أمة قوية وعظيمة، كما يزحف الظلام على الجبال، أمّة لم يكن لها شبيه في سالف الزمان، تلتهم النار ما أمامها، ويُحرق اللهيب ما خلفها، الأرض أمامها جنة عدن، وخلفها صحراء موحشة، يثبون على رؤوس الجبال، في جلبة كجلبة المركبات، كفرقعة لهيب نار يلتهم القش، وكجيش عات مُصطف للقتال. تنتاب الرعدة منهم كل الشعوب، وتشحب كل الوجوه، يندفعون

كالجبابرة وكرجال الحرب، . . . ينسلون بين الأسلحة من غير أن يتوقفوا، ينقضون على المدينة، ويتواثبون فوق الأسوار، يتسلقون البيوت، ويتسللون من الكوى كاللصوص، ترتعد الأرض أمامهم وترجف السماء، . . . يجهر الرب بصوته في مُقدّمة جيشه، لأن جُنده لا يُحصى لهم عدد، ومن يُنقذ أمره يكون مُقتدراً، لأن يوم الرب عظيم ومخيف، فمن يحتمله؟!.

ـ سفر حبقوق: 1: 3: أينما تلقت أشهد أمامي جوراً واغتصاباً، ويثور حولي خصام ونزاع، لذلك بطلت الشريعة (تعطلت) وباد العدل، لأن الأشرار يُحاصرون الصدّيق، فيصدر الحكم مُنحرفاً عن الحق.

1: 5: تأملوا الأمم وأبصروا، تعجبوا وتحيروا، لأني مُقبل على إنجاز أعمال. في عهدكم، إذا أخبرتم بها لا تصدّقونها. فها أنا أثير الكلدانيين، هذه الأمة الحانقة المندفعة، الزاحفة في رحاب الأرض، لتستولي على مساكن ليست لها، أمّة مُخيفة مُرعبة، تستمدّ حُكمها وعظمتها من ذاتها. خيولها أسرع من النمور، وأكثر ضراوة من ذئاب المساء، فرسانها يندفعون بكبرياء، قادمين من أماكن بعيدة، مُتسابقين كالنسر المُسرع، للانقضاض على فريسته، يُقبلون جميعهم ليعيثوا فساداً، ويطغى الرعب منهم على قلوب الناس قبل وصولهم، فيجمعون أسرى كالرمل. يهزؤون بالملوك ويعبثون بالحكام، ويسخرون من الحصون، يجعلون حولها تلالاً من التراب، ويستولون عليها. ثم يجتاحون كالريح ويرحلون، فقوة هؤلاء الرجال هي إلههم.

2: 3: لأن الرؤيا لا تتحقق إلا في ميعادها، وتسرع إلى نهايتها، إنها لا تكذب، وإن توانت فانتظرها، لأنها لا بد أن تتحقق، ولن تتأخر طويلاً.

اليهودي وصفة الجبن الملازمة له عبر العصور:

كلنا يعلم أن وجود إسرائيل وبقائها، لا يعتمد في الدرجة الأولى على مقوماتها الذاتية، مهما بلغت قوتها العسكرية من عدة وعتاد، فحصنهم المنيع هو أمريكا بقوتها وعظمتها، والحصن الآخر هو الطوق الأمني من معاهدات

السلام والأحلاف العسكرية، التي سعوا جاهدين للتوقيع عليها مع دول الجوار. وهذين الحصنين هما ما يتكل عليه اليهود، كضمانة لاستمرار وجودهم، وشعورهم نسبياً بالأمان، الذي يُمكنهم من البدء، في تنفيذ مشاريعهم التوراتية على أرض فلسطين.

أما اليهود في الحقيقة، فليس لديهم عقيدة أو مبدأ، ليبذلوا أرواحهم في سبيل الدفاع عنها، كما هي الحال عند غيرهم من شعوب الأرض. لذلك تجدهم أشدّ الناس حرصاً على الحياة، فلا يُقاتلون إلا مجبرين، وفي قرى محصنة أو من وراء جدر، فعادة الخروج للقتال ليست من شأنهم، أما الخروج للقتل وسفك دماء غير المقاتلين، فهذا أكثر ما يستطيعون القيام به، وعلى تخوف من إصابتهم، من قبل خصمهم الأعزل، وهذا ما نشاهده على أرض الواقع هذه الأيام.

أما في حال المواجهة المعلنة المكشوفة، فأول ما يُفكر به الجندي الإسرائيلي المدجج بالسلاح، هو البحث عن ملجأ يتحصن خلفه، هذا إن تجرأ على القتال. وإن لم يجرؤ، فأول ما يُفكَر به، هو أن يولي الأدبار مطلقاً لساقيه العنان، هارباً إلى حيث لا يدري.

فكيف إذا لم يكن هناك مواجهة، بل غزو مفاجئ، أتخيّل هذا الجندي وفور سماعه، بأمر خروج أحفاد نبوخذ نصر، ومن بابل وقبل اجتيازهم للحدود العراقية، باتجاه إسرائيل، وقد تسمر في مكانه، وتجمد الدم في عروقه، وشلت أطرافه، فلم يقو على حمل سلاحه. وخلاصة القول أن دولتهم محكوم عليها بالفناء. منذ لحظة قيامها، وهم يعلمون ذلك علم اليقين، وأن الجندي الإسرائيلي، مهزوم بالرعب من قبل أن تبدأ المعركة.

الكيفية المتوقعة لهذا الدخول:

على ما يبدو، وبعد هذه القراءة المطولة، أنه لن تكون هناك معركة معلنة ومكشوفة وطويلة الأمد، تستخدم فيها الآليات الحربية، من مدافع ودبابات

وصواريخ وطائرات. وإنما غزوٌ سريع ومباغت، لجيش عرمرم، بعدد هائل من الجند، مُدربَين على سرعة الانتقال والانتشار، ومزودين بأسلحة خفيفة، هم أشبه ـ كما تصورهم التوراة ـ باللصوص في خفة حركتهم وانسيابهم وتسللهم، وبالنسور بسرعة انقضاضها، وبالأسود في قوتها وجبروتها وبطشها. وقد لا يخلو الأمر، من مواجهات ولكنها ستكون محدودة وقصيرة، ربما لا تتعدى كسر الباب، بمعنى أن العقبة الوحيدة التي ربما تواجه المهاجمين، لا تعدو عن كونها، مقاومة بسيطة على الحدود.

وكون هذا الهجوم مباغتاً، يُفهم من تحذير الإنجيل لليهود، بأن من سمع بمحاصرة أورشليم بالجيوش، إذا كان في الحقل، فلا يرجع إلى المدينة، وإذا كان على سقف المنزل، فلا ينزل إلى أسفل، ليجلب متاعاً أو ما شابه، أي: أن هناك من سيسمع بهذا الغزو بعد خروجه إلى الحقل، وأن هناك من سيسمع بالغزو، بعد صعوده إلى سطح منزله، والخروج من المدينة إلى الحقل والعودة، ربما لا يتجاوز سويعات معدودة، وأما الصعود إلى سطح المنزل والنزول عنه، فربما لا يتجاوز دقائق معدودة. فالفارق الزمني قصير جداً، ما بين الحالتين، فالذي خرج إلى الحقل، لم يكن يعلم بالغزو قبل خروجه، والذي صعد إلى سطح المنزل، لم يكن قد سمع بالغزو قبل صعوده.

ومن المحتمل أن يكون هذا الغزو ليلاً، ومن المحتمل أن يبدأ الهجوم ليل الجمعة، لينتهي يوم السبت قبل الظهيرة، استغلالاً لانقطاع أغلب اليهود عن العمل، بحجة التزامهم بشريعة حرمة السبت، التي ما ألزم الله بها، إلا أصحاب تلك القرية، والله أعلم. وسينجم عن هذا الغزو، تفريغ كامل لليهود من فلسطين، سواء بالقتل أو الفرار، وسيطرة كاملة، على مساحة فلسطين كلها، وبالتالي فرض واقع جديد، يُعيد الأمور إلى نقطة الصفر، أي: ما قبل قيام إسرائيل بخمسين عاماً، أيام خلو فلسطين من اليهود، والله أعلم.

ردود الفعل العالمية المتوقعة:

هذا الحديث، السريع والمباغت، المرعب والعجيب، عندما يقع، سيُصاب العالم بأسره بالذهول والشلل، ربما لشهر أو لعدة أشهر، وأول ما يُجابه به سماع خبره، هو عدم التصديق، وسيحتاج الغرب اليهودي الحليف لإسرائيل، إلى وقت طويل ليفيق من هول الصدمة، وليجد الغرب نفسه عاجزاً عن القيام بأي رد فعل سريع ومؤثر للمساعدة، فلا إسرائيل ولا يهود. أما من هم في الصف المناهض لإسرائيل وأمريكا من الشرق، فسيصابون بنفس الشعور، ولكن شعور لا يخلو من الشماتة باليهود إجمالاً، وبأمريكا بشكل خاص. أما اليهود إجمالاً، ويهود أمريكا بشكل خاص، فسيصابون بخيبة أمل كبيرة، وهم يرون أحلامهم التوراتية، تتحول إلى سراب.

وبعد امتصاص الصدمة الأولى، ستبدأ المواقف العالمية من هذا الحدث في التبلور، لتجد أمريكا نفسها عندما تبدأ بالتحرك، لإعادة إحياء الدولة اليهودية، بدفع من سادتها اليهود المتربعين على عروشها، أنها تغني منفردة خارج السرب العالمي، الذي أضحى مؤيداً ومعجباً بما قدّمه العراقيون، من حل سحري لتلك المشكلة المستعصية، التي أرَقت جفون العالم طوال قرن من الزمان. فالعرب من وجهة النظر العالمية، التي باتت مطلعة على أدق تفاصيل القضية الفلسطينية، قد استعادوا أرضهم وحقوقهم، وإسرائيل بما قدمته من أعمال وحشية وهمجية، خلال سنين عمرها، ضد أرض فلسطين وشعبها، وعدم استجابتها لقرارات الجهة التي أوجدتها، لا تستحق الوجود والبقاء. فالحق هو عودة فلسطين إلى أهلها العرب، والباطل هو وجود إسرائيل على أرض العرب، فإذا جاء الحق وزهق الباطل، فليس هناك مشكلة بالنسبة لمجمل دول العالم، التي لا تقع تحت الانتداب الأمريكي اليهودي المعاصر، فالمشكلة وجدت بإقامة إسرائيل، في قلب الوطن العربي، وزالت هذه المشكلة بزوالها.

الوعد والموعد والواقع:

وبالعودة إلى الوراء قليلاً، نجد أن المسلمون استاءوا كثيراً، عندما منعوا من أداء العمرة بصحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام، في السنة السادسة للهجرة، وما زاد في قهرهم هو ذلك الصلح، الذي منع دماء المشركين منهم، وأبقى المسجد الحرام في أيديهم لمدة عشر سنوات قادمة، فعقب سبحانه وتعالى على ذلك قائلاً: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا . . .﴾ [الفَتح: الآية 27]، والذي كان يعلمه رب العزة مسبقاً، هو أنهم سيؤدون العمرة في العام التالي، وأن هذا الصلح، الذي استاءوا من عقده مع مشركي قريش، وأضفى عليهم شعوراً باليأس والإحباط، سيكون هو نفسه، سبباً ومبرراً لفتح مكة، عند نقضه من قبل قريش بعد سنتين من إبرامه، فعقب بقوله: ﴿. . . فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفَتح: الآية 27].

حتى أكثر المسلمين إيماناً ويقيناً وتفاؤلاً، لم يكن يتصور، لحظة منعهم من أداء العمرة وإبرام الصلح، بأن فتح مكة سيكون بعد سنتين فقط، من تاريخ تلك اللحظة، وبتلك الصورة الاحتفالية والمشرقة، لتكون تأدية فريضتي الحج والعمرة، متاحة لهم في أي وقت شاءوا.

وبالنظر لواقع المسلمين في غزوة الأحزاب، وهم قلة، وقريش وقبائل الجزيرة بمشركيها ويهودها، يتربصون بهم ريب المنون، من الداخل والخارج، هل كان ممن المكن أن يتصور أن هذه الحال، ستنقلب رأساً على عقب، بعد ثلاث سنوات، فيغزو المسلمين مكة بعشرة آلاف مقاتل؟

وبالرغم من اختلاف طبيعة الوعود الإلهية، من حيث الثواب والعقاب، إلا أننا نتحدّث هنا عن الوعد بحد ذاته، لنقول بأن الوعد الإلهي، لا يحدّه زمان ولا مكان ولا واقع، ولا ننسى بأن وعد الآخرة، وهو وعد بعقاب اليهود في المقام الأول، ولكن هناك أسباب ومسببات لا بد أن تأخذ مجراها، قبل إتيان أمر الله.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: الآية 53] ، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: الآية 2] .اهـ.

opeikandl.com